مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (١) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (1) 2021

تمثيل أسطورة أورفيوس في الفسيفساء الرومانية (دراسة مقارنة)

رنا خضور*

(تاريخ الإيداع ١٩ /١١ /٢٠٢٠. قُبِل للنشر في ١/١١ /٢٠٢١)

□ ملخّص □

تعد الأسطورة حكاية تعرض أحداثاً عجيبة خارقة للعادة، أو أحداثاً تاريخية قامت ذاكرة الجماعة بتبديلها وتحويلها وتزيينها، إذاً فهي حكاية خرافية تتحدث عن الآلهة والوحوش والأبطال الأقوياء فقد ضمت بعضها حوادث واقعية وتاريخية مضخمة، وهي ضاربة في القدم، ويهتم أغلبها بالخليقة والتكوين.

وقد اتجه الإنسان خلال العصور التاريخية إلى تخليد الأسطورة على أغلب الفنون التي أنتجها من لوحات فسيفساء ومنحوتات حتى في الفنون الصغرى، لاسيما الأساطير الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) التي وصل تأثيرها إلى بلاد فارس وبلاد الرافدين وسورية ومصر وغيرها من المناطق التي وصل إليها المد اليوناني والروماني.

وفي بحثنا هذا سنتناول أسطورة العازف أورفيوس؛ هذه الأسطورة التي كانت من المواضيع المشهورة خلال الفترة الرومانية، وجرى تصوير مشاهدها في العديد من اللوحات الرومانية التي تعود إلى ولايات رومانية مختلفة، لتكون بذلك شاهداً على التأثير اليوناني والروماني في المناطق التي وصلوا إليها، مع وجود التأثيرات المحلية لفناني تلك المناطق؛ وخصوصاً الفنان السوري الذي أبدع في تمثيل العازف أورفيوس والحيوانات والطيور المحيطة به.

الكلمات المفتاحية: تمثيل أسطورة أورفيوس.

*ماجستير في الآثار الكلاسيكية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٥) العدد (١) ٢٠٢١
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (5) No. (1) 2021

The legend of Orpheus in the Roman mosaic (A comparative study)

Rana Khadoure*

(Received 19/11 /2020. Accepted 11/1/2021)

□ ABSTRACT □

The myth is a tale about extraordinary or historical events،the memory of people has changed and decorated it so the myth is defined as a fabulous tale about the gods and the monsters and the heroes and some of legend had inflated real and historical events، and it's very old and carries about creation.

The human tended during the historical periods to memorialize the myths on his arts such as Mosaics and sculptures and tiny arts epically the myths of classical(Greek and Roman) periods which its influences had been reached to many countries as Persia، Mesopotamia،Syria and Egypt and the other places which the roman and Greek had reached.

In our research we'll talk about (the legend of Orpheus) which is the most famous myth during the Roman period، we found its scenes on many of Roman plate in different Roman Provinces، to be witness to the Greek and Roman influence in this regions، with the existence of the local influences of the artists of this regions، in particularly the Syrian artists who get creative in the representation of Orpheus surrounded with animals and birds.

Keywords: The legend of Orpheus**.**

*Master of Classic Archeology.

مقدمة:

زخرت سورية وغيرها من الولايات الرومانية بالمكتشفات الأثرية العائدة إلى العصر الكلاسيكي، والتي أغنت الحضارة الإنسانية ورفدتها بكنوز ثمينة شملت مجالات عديدة؛ سواءً أكانت في العمارة (دينية أو جنائزية أو مدنية)، أم الفنون من فسيفساء ولوحات جدارية ونحت ومسكوكات ومواد أثرية متنوعة من فخار وزجاج ونسيج ومعادن وحلي .

وبالنسبة إلى فن الفسيفساء فقد كان هذا الفن منتشراً وواسعاً في سورية خلال العصر الروماني، وكانت لوحات الفسيفساء جزءاً من التخطيط العمراني الداخلي أو الخارجي، زينت القصور والفيلات والبيوت السكنية، حيث تعد سورية من الدول الغنية بفن الفسيفساء إذ تمتلك ثروة كبيرة ومهمة بلوحاتها الأرضية والجدارية، وتتميز الفسيفساء السورية بتنوع موضوعاتها وتعدد عناصر زخرفتها وقد توزعت في عدة مواقع من سورية منها: أنطاكيا_ تدمر_مريمين _ بسقلا _ دير سمعان _ أم حارتين _ آفاميا وشهبا(فيليبيوبولس) هذه المدينة التي تلقت اهتماماً كبيراً من قبل الإمبراطور فيليب العربي (Philippus)[١] كونها مسقط رأسه وتلقت الكثير من الرعاية خلال فترة حكمه،[٢] حيث قدمت هذه المدينة روائع التحف من اللوحات من حيث جمال الألوان وبراعة رصف المكعبات وتفاصيل أحداث أسطورية ودقة وصف هذه الأحداث وتخليدها بذلك لأساطير كلاسيكية مهمة جداً، وإحدى هذه الأساطير المصورة في لوحاتها أسطورة أورفيوس (Orpheus) والتي اكتشفت في دار رومانية(فيلا) تعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي مع ثلاث لوحات فسيفسائية أخرى.[٣]

-أهمية البحث:

دُرِست أغلب لوحات الفسيفساء التي صورت أسطورة أورفيوس بشكل مستقل، من دون إحداث نوع من التقاطع والمقارنة بين اللوحات الأخرى الموجودة في المقاطعات الرومانية، والتي يمكن أن تتشابه من خلال تمثيل الموضوع الأسطوري أو من خلال العناصر الزخرفية المختلفة، ومن هنا تبرز أهمية البحث في إعداد دراسة عن مجموعة من لوحات الفسيفساء التي صورت الموضوع ذاته وتحديد نقاط التشابه والاختلاف بينها، والتوصل إلى نتائج حول الكثير من المزايا التي خصت لوحة أورفيوس في سورية.

---

[١] . فيليب العربي Philippus: امبراطور روماني(٢٤٤-٢٤٩م)، مسقط رأسه كان في مستوطنة شهبا السورية بالقرب من مدينة بصرى التي تحول اسمها إلى فيليبيوبولس نسبة له، وهو ابن مواطن روماني يدعى يوليوس مارينوس لقب بالعربي نسبة إلى مسقط رأسه في الولاية الرومانية السورية، انظر: سارة، خليل، ٢٠١١، سورية في القرن الثالث الميلادي، مجلة مهد الحضارات، دمشق، العدد ١٥-١٦.

[٢]. Bowersouk¸Glenw:1990¸ Roman Arabia¸Harvard university¸P122.

[٣] . عبد الكريم، مأمون: ٢٠١٣، آثار بلاد الشام خلال العصور الكلاسيكية، دمشق، ص٥٣.

-أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تقديم دراسة فنية ووصفية لمجموعة لوحات صورت مشهداً من مشاهد أسطورة العازف أورفيوس، والعمل على إنجاز دراسة تحليلية مقارنة وفق أسلوب يرتكز على المقارنات الفنية لطريقة تصوير المشهد الأسطوري، والعناصر الزخرفية لهذه اللوحات واختلافها بحسب ثقافة كل بلد، كما سيسهم البحث في استقراء الدلالات الفنية والرمزية والتعرف إلى الدور الذي أدته المشاهد المصورة في نقل بعض ملامح الحياة الدينية والفنية والاقتصادية.

-إشكالية البحث:

قدمت لوحات فسيفساء العازف الأسطوري أورفيوس قيمة جمالية كبيرة، وشكلت مادة أثرية مهمة يمكن من خلالها التعرُّف إلى جانب من جوانب الأسطورة، التي شاعت في العصور الكلاسيكية وقد تنوعت طرق تمثيلها من ولاية رومانية لأخرى؛ وهذا أسس لمشكلة البحث من خلال التساؤلات الآتية:

-لم حظيت أسطورة أورفيوس بهذا الاهتمام حتى نجدها ممثلة في أغلب المقاطعات الرومانية؟

-هل أسهمت لوحات العازف أورفيوس في التعرُّف إلى جوانب الحياة الفنية والاقتصادية والدينية؟

-هل جرى تمثيل مشهد الأسطورة بالأسلوب الفني نفسه في مختلف المقاطعات الرومانية، أم كان هناك تميز واضح لأحد المقاطعات؟

قبل البدء بدراسة اللوحات الفسيفسائية التي تناولت أسطورة العازف أورفيوس، لابد من تعريف فن الفسيفساء وتقنيات تصنيع هذا الفن، إضافة إلى تناول أسطورة أورفيوس.

تعرف الفسيفساء بوصفها لوحة فنية أنها: سطح مؤلف من مكعبات صغيرة مختلفة الأحجام والأقطار مصنوعة من مواد متنوعة(حجر، آجر، رخام وزجاج) ملونة، ترصف بجانب بعضها على أرضية من الملاط (الجص)المصنوع من خلطات مختلفة لتمثل موضوعاً محدداً، وقد اتبع فنانو الفسيفساء ثلاثة أنواع من تقنية الفسيفساء في تنفيذ اللوحات الفسيفسائية وهي:

النوع الأول (أوبوس تيسلاتيوم Oups Tessellatum): كانت تصنع اللوحات الفسيفسائية بهذه التقنية من مكعبات صغيرة تتراوح أبعادها بين (٠,٣-١ سم)، حيث كانت ترتب في خطوط مستقيمة أو منحنية، تبعاً لطريقة التصميم والمشاهد التي تمثلها اللوحات الفسيفسائية.

النوع الثاني (أوبوس سكتيلOups Sectile): تتكون اللوحات المنفذة بهذه الطريقة من مزيج من مكعبات فسيفسائية وقطع رخامية كبيرة، يتم توزيعها على هيئة أشكال هندسية تتخللها مشاهد فنية متنوعة؛ وكثيراً ما كان يستخدم في تزيين الجدران والأرضيات على حد سواء.

النوع الثالث (أوبوس فيرميكولاتيومOups Vermiculatum): تصنع اللوحات الفسيفسائية المنفذة بهذه الطريقة من مكعبات صغيرة جداً مصنوعة من الرخام، بالإضافة إلى قطع أخرى مصنوعة من عجينة زجاجية، يتسم باعتماده نظاماً تقنياً معيناً، حيث ترتب القطع الفسيفسائية بشكل يعتمد في الأساس على طبيعة الأشكال أو النماذج التخطيطية للتصاميم الفنية.[٤]

[٤] . علي، ياسر:٢٠١٢، اللوحات الفسيفسائية في متحف حماه، دمشق، ص ٣٠-٣١.

-أسطورة أورفيوس:

أورفيوس كما تذكر الأساطير هو ابن كاليوب Calliope[٥](ربة الشعر الغنائي) وأبولون Apollon[٦](اله الفن والشعر والموسيقا والشباب)، وقد أهداه الإله أبولون قيثارة ذهبية وعلمته ربات الفنون كيفية العزف عليها، لذا كان عازفاً بارعاً للقيثارة لا يستطيع لا البشر ولا الحيوانات ولا حتى الطبيعة نفسها إلا الاستماع إليه.[٧]

وقد تزوج من يوريديكا التي أحبها حباً جنونياً إلا أن هذا الزواج لم يستمر طويلاً بسبب موت زوجته على أثر لدغة أفعى وحزن عليها حزناً شديداً وبدأ بعزف الألحان الحزينة، وقد رق قلب هاديس Hades[٨]على أورفيوس وهو المتحكم بمصير جميع الأموات ومن يسكنون العالم السفلي، وعند ذلك وعده أن يعيد إليه زوجته، بعد أن اتخذ عليه شرطاً أن يسير في الأمام وتسير زوجته من خلفه في باطن الأرض دون أن ينظر إلى الخلف لرؤيتها حتى يخرجوا معاً ويصلون إلى سطح الأرض، وقد التزم أورفيوس بذلك بحيث سار في المقدمة الإله هرمس[٩] ومن خلفه أورفيوس ومن ثم يوريديكا، وقبل الخروج منه بثوان خطرت في ذهن أورفيوس فكرة التأكد من وجود زوجته لذلك استدار رأسه بطريقة عفوية، رأى من خلالها خيال زوجته خلفه، إلا أن هاديس اعتبر أورفيوس مخلاً للمواثيق والعهد الذي اتخذه على نفسه، لذلك أعاد زوجة أورفيوس إلى العالم السفلي وعالم الأموات، فخلد أورفيوس إلى العزف والغناء علّه يضمد جراحه وتنسيه الموسيقا أحزانه.

هام أورفيوس في الغابات يعزف الألحان الحزينة بعد خسارة زوجته إلى الأبد، حتى التقى بعابدات الإله باخوس[١٠] اللاتي طلبن منه أن يعزف لهن ألحاناً مرحة كي يرقصن عليها إلا أن أورفيوس عجز عن الاستجابة لمطلبهن لما كان يتملكه من حزن وألم لفقد محبوبته، فانهالت عليه العابدات يقذفنه بالصخور ويمزقن جسده بالرماح.[١١]

---

[٥].كاليوب Calliope: في الميثولوجية الإغريقية هي زوجة الإله أبولون وحسب المعتقدات الإغريقية هي واحدة من تسع حوريات شقيقات واللواتي يحمين الغناء والشعر والفنون، انظر: شابيرو، ماكس، ١٩٩٩، معجم الأساطير، ترجمة عبود، حنا، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ص١٧٢.

[٦].أبولونApollon: يعد عند الإغريق إلهاً لكل ما هو خير وجميل، وهو اله الفن والموسيقا والشعر ورئيس ربات الشعر الملهمات، بني له العديد من المعابد في كافة المدن الإغريقية،انظر عكاشة، ثروت، ١٩٩٤، الإغريق بين الأسطورة والإبداع، تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، ج١٥، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٧٣.

[٧].Segal ,Ch: ,1989, Orpheus ,The myth of the Poet ,The Johns Hopkins university Press, Baltimore and London ,P 2-3.

[٨].هاديس Hades: في الميثولوجية الإغريقية هو اله الموت والعالم السفلي، انظر: فيرنان، جان بيير، ٢٠٠١، الكون والآلهة والناس، حكايات التأسيس الإغريقية، ترجمة الحافظ، محمد وليد، دمشق، ص ١٥٤.

[٩]. الإله هرمس Herms: ابن زيوس والحورية مايا، هذا الإله الشاب الرسول يتعلق بالحركة والعلاقات والمعاملات والممرات والتجارة، يعيد ربط الأرض والسماء، والأحياء والموات، انظر فيرنان، جان بيير، ٢٠٠١، مرجع سابق، ص ١٥٤.

[١٠] .باخوس: اله الخمر عند الرومان وهو يقابل الإله ديونيسيوس أشهر الآلهة اليونانية، انتشرت عبادته في اليونان، ويعد حامياً للمزروعات والخضراوات والفواكه، وله الفضل في تعليم الإنسان زراعة الكروم وهو يمثل قوى الخير وقوة الخصوبة، انظر: توركايف، م سيرغي، ١٩٨٨، الأديان في تاريخ شعوب العالم، ت.فضل، أحمد، ط١، ص ٤٣٥.

[١١].P.Commelin: 1837, Mythologie greque et romaine, Paris ,P188.

-تصوير أورفيوس:

اكتسبت أسطورة أورفيوس شهرة ذائعة مما جعل تصوير مشاهدها المختلفة بل وتصوير أورفيوس نفسه هو الأكثر شيوعاً والأكثر تفضيلاً عن أي موضوعات أو شخصيات أسطورية أخرى، إذ أصبح تصوير أورفيوس وأسطورته من الموضوعات المشهورة وخاصة صورته كعازف تحيط به الوحوش المفترسة لتستمع إلى موسيقاه، والتي كانت تمثل أكثر مشاهد الأسطورة شعبيةً وانتشاراً في العصور الكلاسيكية ، حيث كانت لأورفيوس أهمية كبيرة لدى الإغريق والرومان نتيجة لقصته المحزنة وموته المأساوي،[١٢]وأيضاً لمذهبه الفلسفي والديني الذي حمل اسمه (الأورفية) والتي تعد حركة دينية فلسفية نبعت من أسطورة أورفيوس بما تحمله من مضمون وأفكار وصور إنسانية وربما تفسيرات وتأويلات فلسفية، وقد عرفت الأورفية في اليونان منذ القرن السادس ق.م حيث ظهرت أولاً في أتيكا ثم انتشرت في بلاد اليونان كلها حتى وصلت إلى المستعمرات اليونانية جنوباً في إيطاليا وفي صقلية، وقد ذكر أفلاطون الأورفية في محاوراته وكان من أشد مؤيديها، وتعدّ تعاليم الأورفية بوجه عام ذات صبغة عقلية؛ فهي تقول إن الماء والأرض هما أصل كل شيء، وهما العنصران الأساسيان للوجود كله ومنهما تولد الزمان الذي أنجب ثلاثة أبناء ومنهم جاء الإله ثم العقل ثم القوة، واعتبروا الجسد سجن للروح والنفس، وقد آمن أتباع الأورفية بالتناسخ وأن لكل إنسان حياة سابقة وسيعيش حيوات متتالية، وأن وجوده في الحياة عقاب له على إثم ارتكبه في حق الآلهة حينما كان يعيش بجوارها في حياته الأولى، وكان لأتباع هذه العقيدة طقوس خاصة لابد لهم من اتباعها حتى يمكنهم الاستمتاع بالحياة في العالم الآخر وكانوا يرون أن الإنسان لو عاش حياته زاهداً وأقام طقوس العبادة السرية فإن هذا سيوقف عملية التناسخ وسوف ينعمون بصحبة الآلهة ،[١٣] فخلال العصر الروماني ومع اتساع رقعة الإمبراطورية الرومانية وازدياد مواردها الاقتصادية وما تبع ذلك من تغيرات اجتماعية، ونتيجة لحياة الرفاهية والثراء برز إلى السطح أعداداً كبيرةً من رعايا الإمبراطورية من الفقراء الذين حرموا من أبسط حق لهم في الحياة، ولاشك أن ظهور هذه الطبقة أدى إلى تغير في المفاهيم والمعتقدات الدينية بما يتوافق مع الوضع الجديد؛ إذ لجأ هؤلاء الفقراء إلى الديانات الشرقية التي قدمت لهم ما حرموا منه، كذلك انصرف إليها الأغنياء الذين تنعموا بملذات الحياة كلها إلى درجة التشبع الذي أفقدهم الإحساس بطعمها، ومن هنا التجأ الطرفان إلى الديانات الشرقية التي وجدوا فيها خير ملاذ كونها تتمتع بالروحانية التي تبشرهم بحياة أخرى يجدون فيها السعادة الحقة،[١٤] ومن ثم انتشرت الديانات الشرقية انتشاراً واسعاً ودخلت العقيدة الأورفية بقوة ضمن ما دخل من الديانات الشرقية، وقد استمرت العقيدة الأورفية طويلاً حتى امتد تأثيرها إلى العصور المسيحية الأولى لنجد اقتران تصوير أورفيوس بالصور الدينية المسيحية [١٥] مثل لوحة فيسفساء آدم المعروضة في متحف حماه والتي تعود إلى النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، ويرى فيها بعض الباحثين أن تصوير آدم (الذي مثل المسيح) تأثر بما سبقه من فنون خاصة، صور فيها أورفيوس على الفريسك أو الفسيفساء.[١٦]

(١٢.(Murray,Sister Charles: 1981, Rebirth and after life,Astudy of the transmutation of some Pagan luagery in early Christian funerary Art,P43.

(١٣.(Guthrie,W.K.C: 1993, Orpheus and Greek religion,Astudy of the Orphism movement Princeton,P 156,238.

(١٤.(Cumont, Fr: 1981,Oriental Religions in Roman Paganisms, Chicago, P 20,22,28, 35,39.

(١٥). Murray,Sister Charles: 1981,P44.

(١٦) . علي، ياسر: ٢٠١٢، مرجع سابق، ص ١١٠.

وقد تم تصوير أورفيوس على الفخار اليوناني منذ القرن السادس قبل الميلاد في الفن اليوناني، والذي يعد مصدراً مهماً ومرجعاً موثقاً لدراسة الأساطير اليونانية، أما في العصر الروماني؛ ومع اتساع رقعة الإمبراطورية الرومانية أصبح تصوير أورفيوس وأسطورته من المواضيع المحببة؛ فنجده قد صوّر على الفريسكو(اللوحات الجدارية) على جدران منزل أورفيوس في بومبي وهو يعزف موسيقاه وتحيط به حيوانات مختلفة، كما صور على عملة الإسكندرية التي سكت في عهد أنطونيوس بيوس، وصور على الأطباق الفخارية وعلى السرج،[١٧]كما صُوِّرت مشاهد من أسطورته على لوحات الفسيفساء وهذا ما نشاهده في سورية الولاية الرومانية العريقة التي أبدع الفنان السوري فيها بتمثيل العازف الأسطوري أورفيوس، لتبدو اللوحة وكأنها صورة حية ناطقة تشعرك بجمال ألحان العازف وما ألم فيه من حزن وحنين ومشاركة الحيوانات له واستماعها إلى أغانيه.

– فسيفساء أورفيوس في مدينة شهبا السورية:

اكتشفت اللوحة في دارة مهمة(فيلا) بنيت في مدينة شهبا بعد اعتلاء الإمبراطور فيليب العربي عرش روما، وما زالت اللوحة معروضة في موقع الاكتشاف، تعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي والربع الأول من القرن الرابع الميلادي، تقنية التصنيع أوبوس تيسيلاتيوم وأوبوس فيرميكولاتيوم.

جاءت اللوحة مربعة بلغت مقاييسها٣,٠٨٥ ×٣,٠٨٥ م، وجاءت اللوحة التشخيصية مربعة تقريباً بمقاييس ٢,٣٦٥×٢,٣٥٥م،[١٨] صوّر العازف بوضعية الجلوس على صخرة في وسط الطبيعة، يحيط به عالم متعدد من الحيوانات التي تنتمي إلى العديد من الأصناف الحيوانية، الأليفة والمفترسة، إضافة إلى الطيور والزواحف، وتم تمثيل شجرة وقفت عليها الطيور، وبذلك عمد الفنان إلى ملء الحيز المكاني واستغلال أي فراغ حاصل بصور حية لشكل معين يتناسب مع هذا الفراغ، هذا وقد ارتدى أورفيوس رداءً صوفياً شرقياً، يحيط به حزام علوي جاء في منطقة الصدر، كما زينت الأكمام بلفائف مزدوجة فوق الرسغ والسواعد وبألوان متباينة عن لون الرداء، ولبس كذلك سروالاً فارسياً والذي كان انتشاره في الشرق أكثر اتساعاً من انتشاره في الغرب ابتداء من النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي،[١٩] وعباءة مشكولة على الكتف الأيمن انسدلت لتغطي ظهره ثم التفت على الفخذين، وتعتلي رأسه قلنسوة فريجية[٢٠] متوجة من الأعلى بشكل كروي، بينما يخرج من تحتها متناثراً وبكل الجهات قسم من شعره الأشعث الغير منتظم وقد وضع على فخذه الأيسر آلة العزف القيثارة بينما يمسك في أصابع يده اليمنى ريشة العزف[٢١].الشكل ١

وقد عبر الفنان عن الانفعال الحاد والقوي، والذي ترجم قوة الإحساس والشعور الناجح عند الاستماع إلى الموسيقا عن طريق تمثيله للحيوانات الضعيفة إلى جانب القوية المتوحشة بصورة متمازجة تحيط بالعازف الساحر، حيث إن جميعها تقف إلى جانب بعضها، من دون خوف يذكر لضعفها. [٢٢]

(١٧. (Guthrie¸W.K.C: 1993 ¸P157-158

[١٨].Balty¸ Janine: 1977¸ Mosaiques Antiques de Syrie¸ Bruxelles¸ 44-49.

(١٩.(Balty¸Janine: 1995¸Mosaiques antiques du Proche orient¸Paris¸P239.

[٢٠].فريجية: نسبة إلى منطقة فريجة إلى الشمال الغربي من آسيا الصغرى بين بحر ايجة ومضيق أوكسين،أصل سكانها من التراقيين الذين وفدوا إليها من البلقان(شمال بلاد اليونان)، انظر: غنام، وفاء أحمد، ٢٠١٠، دراسات في آثار الوطن العربي، جامعة طنطا، ص ٦٥٠.

[٢١] .الجباعي، ماهر: ٢٠١٣، التمثيلات الأسطورية المصورة في سورية ومثيلاتها في أنطاكية في العصر الروماني، بيروت، ص ٤٦.

(٢٢.(Degeorge¸ Gerrard: 1983¸Mosaiques de Syrie Dans L'art sons toutes ses forme¸Les Arts en Syrie¸ 1983¸P 40-45.

أما بالنسبة إلى الحيوانات فقد كانت مجموعة من الرموز المتمثلة ببعض الكائنات التي ترتبط بالبيئة المحيطة وحيوانات خرافية لا وجود لها إلا في عالم الأساطير، وهي تشير إلى الصراع بين قوى الخير والشر، حيث نجد العقاب الذي كان رمزاً للإمبراطورية الرومانية يتبوأ أعلى مكان في العمل الفني، والعصفور الذي عبر عن الروح وهي صفة تطلق على أبولون، كما نجد الطاووس الذي صور خلف أورفيوس مباشرة، وقد اعتاد الرومان اقتناءه لجماله وكطعام فاخر أيضاً، واعتبر رمزاً للخلود والإيمان المتعلق بالعالم الآخر، إضافة إلى تمثيل غزال، كلب وثور في إشارة إلى منظر رعوي، وتمثيل فهد ونمر الذين يعدان مرتبطين بالإله باخوس، والأفعى في إشارة إلى الاعتقاد السائد بنومها خلال الشتاء واستيقاظها مع مجيء الربيع يعطيها ذلك معنى للبعث وعودة للحياة؛ كذلك جرى تصوير فيل، ويعرف أن موطنه الأصلي مصر وشمال إفريقيا وأثيوبيا ،[٢٣] وأخيراً الحيوان الخرافي الكريفون (Griffon)[٢٤] في الجزء العلوي من اللوحة، وهو مكرس للإله أبولون وتم تصويره في إشارة إلى علاقة أورفيوس بأبولون.الشكل ٢

بالنسبة إلى الإطار عرضه ٨٥سم عبارة عن جديلتين ثنائيتين شكلتا فيما بينهما مربعات صوّر ضمنها أقنعة المسرح[٢٥] عددها عشرون .[٢٦]

-فسيفساء أورفيوس في مدينة لبدى[٢٧] الكبرى الأثرية في ليبيا:

تم العثور على هذه اللوحة بالقرب من مدينة لبدى الأثرية ويعود تأريخها إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، بأبعاد ٢٠٢سم×٢٠٠سم، تقنية التصنيع أوبوس فيرميكولاتيوم ، مثل فيها العازف أورفيوس مع مشاهد تصور الحياة الاجتماعية واليومية لعالم البر والبحر من خلال خمسة مشاهد في ثلاثة عروض:

المشهد الأول: تمحور حول العازف أورفيوس الجالس على صخرة بهيئة ومظهر يشبه مظهره في لوحة شهبا بما فيها القلنسوة التي أصبحت عبارة عن هوية رافقته في أي صورة يظهر فيها سواء في لوحات الفسيفساء أم في الرسوم الجدارية أم في المنحوتات الحجرية والرخامية وغيرها، إلا أنها جاءت بعرض مختلف للمخلوقات التي تحيط بالعازف

(٢٣).(Toynbee,J.M.C: 1973, Animals in Roman life and Art,London,P93,220,252.

[٢٤].الكريفون: طير خرافي له رأس نسر وجسم أسد مجنح كان من ضمن الطيور الخرافية التي كانت تحرس كنز أبولون، وتخوض حروباً ضد شعب أسطوري كان يمتلك كل فرد من أفراده عيناً واحدة(انظر عثمان،سهيل-الأصفر، عبد الرزاق،١٩٨٢، معجم الأساطير اليونانية والرومانية، دمشق،ص٤١٦).

[٢٥].أقنعة المسرح: أقنعة مستمدة من الأقنعة التي كانت تستخدم في المسرح والتراجيديا الرومانية التي كانت بدورها نقلاً عن الإغريق، الذين استوطنوا جنوب إيطاليا في القرنين الثالث والثاني ق.م ليتطور بعدها المسرح الروماني، حيث كانت في بداية كل مسرحية تظهر لوحة مرسوم عليها أقنعة كافة شخوص الرواية مرتبة حسب ظهورها على المسرح، والأقنعة الموجودة في إطار لوحة أورفيوس هي تعبير عن المسرح الروماني والتراجيديا الشعرية الرومانية التي جسد الشاعر أورفيوس أجمل معانيها.

(انظر عكاشة، ثروت،١٩٩٣، الفن الروماني، التصوير وتاريخ الفن، الجزء العاشر، المجلد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٥٧٨-٥٨٥).

[٢٦] .الجباعي، ماهر: ٢٠١٣، مرجع سابق، ص٤١.

[٢٧]. لبدى الكبرى: مدينة من مدن الشمال الإفريقي تقع على الساحل المتوسطي عند مصب وادي لبدى، تبعد ١٢٠ كم شرق مدينة طرابلس عاصمة ليبيا، كانت من أبرز مدن الشمال الإفريقي في عصر الإمبراطورية الرومانية، انظر(حسن، عزيزة: ٢٠١٨، الفسيفساء الليبية إرث تاريخي، جامعة صبراتة، ص ١٩٤).

والتي افتقدت الكم الهائل من الحيوانات التي ظهر منها الفهد والغزال والدب والثور والخنزير الوحشي والحصان والغزال إضافة إلى الطيور مثل البط والنعام والعقاب والطاووس. الشكل ٣

المشهد الثاني والأوسط: انقسم إلى ثلاثة أقسام تمثل عالم البحار فالوسطى تمثل عالم الصيد على سطح المياه حيث ظهرت مراكب الصيد والصيادين، بينما اللوحة اليمنى مثلت جوف البحر وأنواع الأسماك التي تعيش فيه، أما اليسرى فقد مثلت الشاطئ البحري.

المشهد الثالث والسفلي: انقسم إلى ثلاث لوحات وجميعها تمثل الحياة اليومية لعالم البر والحياة الريفية والحرف التي يمارسها الناس من الرعي وتربية الدواجن،الإطار عبارة عن ضفائر مجدولة بثلاثة ألوان.

هنا تجدر الإشارة إلى تميز هذه اللوحة عن باقي لوحات تصوير أورفيوس الرومانية حيث عمد فيها الفنان إلى الجمع بين تمثيل الأسطورة وأهمية النشاط التجاري والاقتصادي القائم في مدينة لبدى الساحلية، حيث عدت من أهم موانئ الشمال الإفريقي .[٢٨]الشكل ٤

-فسيفساء أورفيوس في تراقيا التركية:

تعود إلى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، نفذت بتقنية أوبوس تيسيلاتيوم، هيئة أورفيوس فيها معكوسة والقيثارة صورت على الكتلة الصخرية وليس على فخذه والشجرة في الجهة المعاكسة، أما الحيوانات فقد توزعت على جانبي أورفيوس وتضمنت الفهد والوعل، الذئب والأسد، الثور البري والعقاب، وقد ارتدى قبعته الفريجية ورداء أحمر صوفي يحيط به حزام في منطقة الخصر، وسروالاً فارسياً وعباءة مشكولة على الكتف، الإطار عبارة عن جديلة مزدوجة.الشكل ٥

-فسيفساء أورفيوس في مدينة أرلس اليونانية:

تؤرخ نهاية القرن الثالث الميلادي وبداية القرن الرابع الميلادي، الزوايا الداخلية الأربع زينت بزخارف هندسية(مثلثات) والإطار الخارجي مزين بجدائل وزخارف هندسية.

أما اللوحة المركزية فقد صور ضمنها أورفيوس في المركز يجلس على صخرة والشجرة على يمينه وقد ارتدى قبعته الفريجية وسرواله الفارسي مع عباءته المشكولة على كتفه، وتوزعت الحيوانات على جانبيه(غزال ونمر ،فهد وكلب، وعل وثور بري، أسد وحجل). [٢٩]الشكل ٦

-تحليل عناصر الصورة الفنية:

١- وضعية الجسد: في العصر الروماني أصبح وضع الثلاثة أرباع هو الوضع الأكثر شيوعاً خاصة في الفسيفساء وهو الوضع المشترك لجميع اللوحات مع اختلاف جهة الرأس؛ إذ نجد رأس أورفيوس متجهاً إلى اليمين في فسيفساء شهبا ولبدى الكبرى، عكس اتجاه الرأس في لوحتي تراقيا وأرلس كما اختلفت وضعية جلوسه بالنسبة إلى الشجرة؛ ففي لوحتي شهبا وأرلس توجد الشجرة على يمينه بينما مثلت على يساره في لوحة تراقيا، وغابت في لوحة لبدى عن جواره.

٢- الملابس : في جميع لوحات أورفيوس تم تمثيل القبعة الفريجية والتي كانت ترمز في الفن اليوناني على الشخص الأجنبي أي ليس يونانياً، إلا أن رمزيتها اختلفت في الفن الروماني حيث ارتبطت بالمناظر

---

[٢٨]. عيسى، محمد علي: ١٩٩٥، الحياة العامة في المدن الليبية القديمة أثناء الاستعمار الروماني من خلال بعض نماذج الفسيفساء، مجلة آثار العرب، العدد٧، ص ٩٩-١١١.

[٢٩].Balty ,Janine: 1995 ,P241.

الريفية والرعوية ولكن فيما بعد استخدمت للدلالة على سكان المناطق الشرقية، كما دلت على الكهنة الفريجيين،[٣٠]وفي جميع لوحات أورفيوس نجد الرداء الموحد وهو السروال الفارسي الذي ارتداه، رغم كونه يونانياً إلا أن هذا الرداء كان منتشراً في المناطق الشرقية نظراً لقربها من بلاد فارس، وارتدى أيضاً عباءة مشكولة مع وجود الرداء الأحمر.

٣- الآلة الموسيقية: هي القيثارة التي اختلف عدد أوتارها ففي فسيفساء شهبا أربعة عشر وتراً وفي فسيفساء لبدى سبعة أوتار وفي لوحة تراقيا اقتصرت على خمسة أوتار بينما في فسيفساء أرلس تسعة أوتار وهذا الرقم مطابق لعدد حوريات الشعر والغناء.[٣١]

٤- الحيوانات المرافقة لأورفيوس: يعد تصوير الحيوانات في تمثيل أسطورة أورفيوس عاملاً أساسياً في التشكيل والتكوين الفني للوحة، حيث بدأ تمثيل الحيوانات منذ القرن الرابع ق.م، ويبدو أن سمة هذا العصر كانت الاهتمام بدراسة وتصوير الطبيعة،[٣٢]ونجد هذه الحيوانات متنوعة ومتميزة في فسيفساء شهبا حيث تم تمثيل الكريفون المكرس للإله أبولون والفيل الذي كان يجلب من شمال إفريقيا والطاووس رمز الخلود وقد مثلت مجموعة من الحيوانات التي كانت رموزاً لآلهة معينة مثل الفهد والنمر المرتبطين بالإله باخوس، والنسر الذي كان يعد رمزاً للإمبراطورية الرومانية القوية، والأفعى التي تم تصويرها في رمزية للبعث وعودة الحياة وهذا جوهر الديانة الأورفية، وفي فسيفساء لبدى نجد الطاووس والنسر والنمر والفهد قد تكرر تمثيلهم جميعا كما في فسيفساء شهبا مع وجود الخنزير البري والثور وقد توزعت ضمن قطيعين على جانبي العازف على مسافة منه، بينما في فسيفساء تراقيا لا نجد التنوع الكبير الذي رأيناه في لوحتي شهبا ولبدى إلا أنها اصطفت قريبة من أورفيوس وهذا حال حيوانات لوحة أرلس التي مثل فيها الثور والأسد، الغزال والفهد، النمر وبعض الطيور.

- الإطار: جاء الإطار في لوحة شهبا غنياً بزخارفه بالنسبة إلى باقي اللوحات حيث احتوى على الجديلة التي وجدت أيضاً في لوحة لبدى، وقد تخلل الإطار أقنعة المسرح التي كان لها كما ذكرنا سابقاً ارتباط وثيق بالمسرح الروماني والتراجيديا، كون أسطورة أورفيوس حملت في طياتها الكثير من الحزن والألم، فقد عمد الفنان السوري هنا إلى إيجاد صلة بين الإطار والموضوع الرئيس الممثل في الحقل، أما في فسيفساء تراقيا فالإطار مزدوج بسيط عبارة عن تموجات وفي لوحة أرلس اعتمد الفنان على الزخارف الهندسية التي مثلها أيضاً ضمن زوايا الحقل.

(٣٠.(Jesnick, I.J: 1997,The image of Orpheus in Roman Mosaic,P 72.

(٣١). Jesnick, I.J:1997,P 74.

(٣٢.(Owenlee, M: 1996, Virgil as Orpheus,Astudy of Georgics, NewYork,P 645.

-النتائج:

بناء على ما تقدم نجد في فسيفساء فيليبيوبولس تجسيد أورفيوس بحرفية عالية، بوضعيته المعهودة جالساً على صخرة بجانب شجرة، وقد أحاطت به الطيور والحيوانات، فتصوير أورفيوس في مركز المشهد بقبعته الفريجية واضح في كل اللوحات التي جسدته، مع اختلاف متباين في اتجاه جلوسه على الصخرة وتصوير قدميه، لكن في الغالب القيثارة إلى اليسار منه، وتموضع الحيوانات وعددها وأنواعها يختلف من لوحة لأخرى، تميزت لوحة شهبا بالتنوع الكبير ورمزية الحيوانات فيها والتفرد بوجود الكريفون والفيل، إلا أن كل هذه الأعمال تشترك في أسلوب توزيع الحيوانات إلى قطيعين متناظرين من جهتي أورفيوس مع وجود اختلاف في قربها منه، ولكن ما يميز التوزيع في لوحة فيليبيوبولس عن غيرها من اللوحات أنه لم يكن لغرض ملء الفراغ فقط بل كان يخلق العمق وينعش المنظر من خلال الهيئات الحية والمعذبة الواضحة للحيوانات والمعبرة عن شدة الانفعال الذي يطبع المشهد ووجود الشجرة ضمن المشهد لم يكن لوظيفة مشتركة في كل التمثيلات، ففي فسيفساء فيليبيوبولس تمد أغصانها نحو أورفيوس طرباً لعزفه وغنائه وتستند الأفعى وأنواع الطيور المختلفة الموزعة إلى أغصانها لتستريح في ظلها ومن ضمنها طائر العقاب الذي أخذ مكانه في فسيفساء تراقيا على الصخرة الشامخة على يمين العازف بينما تلك الطيور كانت مهملة في فسيفساء أرلس ووزعت دون ركيزة تذكر، واختلاف الأسلوب الفني في تمثيل مشهد الأسطورة لم يقتصر على الحيوانات وإنما شمل الأطر فقد جاء مميزاً في لوحة شهبا بينما اعتمد على الزخارف الهندسية في فسيفساء أرلس.

وقد أسهمت اللوحات جميعها في تسليط الضوء على جانب ديني مهم ساد المقاطعات الرومانية باعتناق الديانة الأورفية وانتشارها في تلك المقاطعات، إلا أن اللوحة الوحيدة التي مثلت الحياة الاقتصادية كانت فسيفساء لبدى الكبرى التي صورت النشاط المتعلق بالحياة البحرية من صيد الأسماك والمراكب والشباك، ومرد ذلك كونها ميناءً مهماً شهد حركة تجارية نشطة خلال العصر الروماني.

-الخاتمة:

بعد تقديم العرض السابق لمجموعة من اللوحات التي صورت مشاهد من أسطورة العازف أورفيوس نجد تميز اللوحة السورية واضحاً، جرى فيها الإعلان عن مرحلة جديدة لانطلاقة جديدة في الفن التشخيصي والتي تولد منها فيما بعد الفن الأيقوني المسيحي، إضافة إلى تقديم الدليل الواضح على وجود فنانين سوريين مبدعين كانوا متجددين ومخلصين إلى تقنية فن الفسيفساء استطاعوا ونجحوا بتفوق في احترام النماذج القديمة والتحول إلى نماذج جديدة من أشكال هندسية ونباتية وتشخيصية بشرية وحيوانية مع الإبداع في استعمال ألوانها المطلوبة، وخلق بالمحصلة شكلاً من أشكال التنوع في الأصالة الفنية السورية.

-المراجع العربية:

١. توركايف، م سيرغي: ١٩٨٨، *الأديان في تاريخ شعوب العالم*، ت.فاضل، أحمد.

٢.الجباعي، ماهر: ٢٠١٣، *التمثيلات الأسطورية المصورة في سورية ومثيلاتها في أنطاكية في العصر الروماني*، بيروت.

٣.خليل، سارة: ٢٠١١، *سورية في القرن الثالث الميلادي*، سورية مهد الحضارات، العدد ١٥-١٦.

٤.شابيرو، ماكس_ رودا، هندريكسي: ١٩٩٩، معجم *الأساطير*، ت. عبود، حنا، منشورات دار علاء الدين، دمشق.

٥. عثمان،سهيل-الأصفر، عبد الرزاق: ١٩٨٢، *معجم الأساطير اليونانية والرومانية*.

٦. عكاشة، ثروت: ١٩٩٤، *الإغريق بين الأسطورة والإبداع، تاريخ الفن*، العين تسمع والأذن ترى، ج ١٥، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٧. عكاشة، ثروت: ١٩٩٣، *الفن الروماني*، التصوير وتاريخ الفن، الجزء العاشر، المجلد الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٨. علي، ياسر: ٢٠١٢، *اللوحات الفسيفسائية في متحف حماه*، دمشق.

٩. عيسى، محمد علي: ١٩٩٥، *الحياة العامة في المدن الليبية القديمة أثناء الاستعمار الروماني من خلال بعض نماذج الفسيفساء*، مجلة آثار العرب، العدد٧.

١٠. الغنام، وفاء أحمد: ٢٠١٣، *دراسات في آثار الوطن العربي*، جامعة طنطا.

١١. فيرنان، جان بيير: ٢٠٠١، *الكون والآلهة والناس، حكايات التأسيس الإغريقية*، ت. الحافظ، محمد وليد، ط١، دمشق.

-المراجع الأجنبية:

1.Balty, Janine: 1977, *Mosaiques Antiques de Syrie, Bruxelles* .
2.Balty,Janine:1995, *Mosaiques antiques du Proche orient,* Paris.
3.Bowersouk,Glenw:*1990, Roman Arabia,Harvard university.*
4.Cumont,Fr: *1981, Oriental religions in Roman Paganisms,* Chicago.
5.Guthrie,W.K.C: *1993, Orpheus and Greek religion,Astudy of the Orphism movement.*
6.Jesnick, I.J: *1997,The image of Orpheus in Roman Mosaic.*
7.Murray,Sister Charles:*1981,Rebirth and after life,Astudy of the transmutation of some Pagan luagery in early Christian funerary Art.*
8.Owenlee, M: 1996, *Virgil as Orpheus,Astudy of Georgics,* NewYork.
9.P.Commelin: 1837, *Mythologie greque et romaine,* Paris .
10.Segal,Ch:1989, *Orpheus,The myth of the Poet,The John Hopkins university Press,* Baltimore and London.
11.Toynbee, J.M.C: 1973, *Animals in Roman life and Art*, London.

ملحق الصور:

الشكل ١: فسيفساء العازف أورفيوس في شهبا،1977، Balty Janine

الشكل٢: الطائر الخرافي الغريفون، 1977، Balty Janine

الشكل ٣: فسيفساء أورفيوس في مدينة لبدى الكبرى، عيسى، محمد علي،١٩٩٥.

الشكل ٤: فسيفساء أورفيوس في مدينة لبدى الكبرى، اللوحة الكاملة،عيسى، محمد علي،١٩٩٥.

الشكل ٥: فسيفساء أورفيوس من تراقيا التركية،الجباعي، ماهر، ٢٠١٣.

الشكل ٦: فسيفساء أورفيوس من أرلس اليونانية، الجباعي، ماهر، ٢٠١٣.